ناميبيا ، مقبرة الاحياء في افريقيا الجنوبية :

النظام العنصري في جنوب افريقيا يتحدى القرارات الدولية بشأن احتلال ناميبيا

حكومة بريتوريا تسعى لتقسيم ناميبيا تقسيماً يضمن استمرار سيطرتها ومصالحها والمصالح الامبريالية

ان مأساة ٧٠٠ الف نسمة في ناميبيا ، في جنوب غرب افريقيا ، المحتلة منذ سنين عديدة من قبل جمهورية جنوب افريقيا العنصرية ، بدأت تبرز على الصعيد العالمي في مناسبات عدة ، ان كان من خلال عدة قرارات صادرة عن منظمة الامم المتحدة ، او من خلال قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي القائل بحق ناميبيا (جنوب غرب افريقيا سابقا) في تقرير مصيرها واستقلالها ، او من خلال الاضراب العام الشهر الذي نفذه اكثر من ٢٠ الفا من عمال المناجم فيها ، منذ اكثر من سنة .

وقد تكرس الوجود القنصالي لشعب ناميبيا في ضمير الرأي العام العالمي عندما اعلن يوم ٢٦ آب يوم التضامن مع نضال شعب ناميبيا ، بقرار من مجلس السلام العالمي ومنظمة التضامن الافرو – اسيوي . وقد عقد في شهر ايار من العام الماضي ، مؤتمر دولي في بروكسل ، تأييدا لشعب ناميبيا ، مبادرة من منظمة شعب جنوب غرب افريقيا .

ولكن مع تصاعد نضال شعبها وتزايد دعم القوى التقدمية في العالم لشعب ناميبيا ، فان النظام العنصري في جنوب افريقيا يزيد احكام قبضته على هذه المستعمرة ، وبتواطؤ القوى الغربية ، يتحدى سافر للمنظمة الدولية ولقرار محكمة العدل الدولية . لماذا ؟

تقول صحيفة افريقيا ، الصادرة في لندن ، بان معسبة ناميبيا هي جزئيا ، موقعها الجغرافي . فعنصري جنوب افريقيا لا يريدون دولة افريقية متحررة مستقلة الى جانبهم . ولكن ما هو اهم من ذلك ، في تصكهم بجنوب غرب افريقيا في هذه المرحلة ، هو الربح الذي تحصله جنوب افريقيا من ثروة ناميبيا المعدنية .

ان ناميبيا هي احدى اكبر منتجي العالم من الماس ، وهي غنية بالنحاس والرصاص واليورانيوم والزنك والزيت . وتستغل ٤٤ شركة اجنبية هذه الثروة ، وابرزها الشركات الاميركية والبريطانية والجنوب افريقية . واكبر تلك الشركات الاستغلالية ، هي مناجم الماس المتحدة لجنوب غرب افريقيا ، وهي فرع للشركة الاميركية – البريطانية التي تغطي امتيازاتها في ناميبيا ، مساحة تتجاوز ٢٣ الف كلم مربع ، اي مساحة اكبر من مساحة بلجيكا ، وارباحها السنوية فيها تصل الى ٧٠ مليون دولار .

كذلك تحقق حكومة جنوب افريقيا مكاسب هائلة من استغلال شعب ناميبيا . وقد حصلت في سنة ١٩٧١ وحدها ، دخلا قدره ١٥٠ مليون دولار !

وقد اصبحت ناميبيا اليوم « منطقة ساخنة » اخرى في القارة الافريقية . وكما في انغولا وموزامبيق وروديسيا ، فان شعب هذه البلاد التي تزيد عن مساحة بريطانيا وفرنسا مجتمعين قد انتفض في ثورة ضد العنف والاضطهاد ، ويواجه الان قوات العنصريين القمعية التي تحاول منع نمو وتطور الحركة التحررية الاستقلالية فيها ، واحكام قبضة الحكم العنصري عليها .

وتعود مأساة شعب ناميبيا الافريقي الى سنة ١٨٨٣ عندما انشأ تاجر الماني مغامر ، اول مستوطنة المانية في قطاع مهجور على ساحل الاطلسي ، يعرفه بالبحارة باسم « ساحل الهيكل » ، بسبب المواصف التي تحصل هناك .

وفي سنة ١٨٨٤ ، اعلن المستشار بيسمارك كل جنوب غرب افريقيا ملكية المانية ، مفتتحا صفحة سوداء في تاريخها . ولكن اول انتفاضة مسلحة ضد الغزاة قامت بها قبيلة هيريرو في سنة ١٩٠٤ ، وقمت بصورة دموية بقيادة الحاكم الالماني للمستعمرة ، فورينغ . وقامت قوات اتحاد جنوب افريقيا باحتلال جنوب غرب افريقيا حتى هزيمة المانيا في الحرب العالمية الاولى ، عندما اعلنت هيئة الامم في سنة ١٩٢٠ قرارها بوضع جنوب غرب افريقيا تحت انتداب اتحاد جنوب افريقيا .

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، اصبحت كافة البلدان الخاضعة للانتداب ، تحت وصاية منظمة الامم المتحدة . الا ان حكومة جنوب افريقيا رفضت انتقال جنوب غرب افريقيا الى وصاية الامم المتحدة . وقامت بريتوريا في سنة ١٩٤٩ بتشريع قانون يحول جنوب غرب افريقيا الى ما هو عمليا ، مستعمرة لها .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ومشكلة جنوب غرب افريقيا – ناميبيا – على برامج عمل الهيئات المختلفة في الامم المتحدة ، التي مرت اكثر من ٨٠ قرارا يدين سياسة القمع التي تتبعها بريتوريا . وتؤكد الحق المشروع لشعب ناميبيا بالاستقلال وتقرير المصير .

وكانت سنة ١٩٧١ منعطف اخر لنضال الشعب الافريقي في ناميبيا . فقد سجلت محكمة العدل الدولية رأيها الاستشاري بان على جنوب افريقيا الانسحاب فورا من ناميبيا ، بسحب وجودها الاداري وقواتها المسلحة . ولكن بريتوريا مضت في تحدي كافة القرارات والتوصيات الدولية بصدد الانسحاب من هناك ، ووقف نهب ناميبيا ، التي حولوها الى مخزون ضخم هو عمليا ، بمثابة « مقبرة للاحياء » على حد تعبير احد القادة الافريقيين .

في الواقع سجلت هيئة الامم المتحدة حول ناميبيا ، التي انشئت في سنة ١٩٥٢ ، في احدى تقاريرها ، بان وكالة الوظيف ، لرابطة عمل سكان جنوب غرب افريقيا ، تبيع العمال كالعبيد للمستوطنين الاوروبيين البيض .

وحتى اليوم هناك نظام من العقود للاجبار بالرقيق في مناجم الحديد الخام ، التي تملكها الاحتكارات الغربية . ولا تسمح للافريقي باختيار مكان عمله او نوعه عمله ، كما انه لا يعرف كم سيحصل من اجر على عمله . بل انه عندما ينقل الى مكان العمل الذي اختير له ، يلبس سوارا فولاذيا كعلامة بانه قد اصبح عاملا . ويقسم العمال فورا الى ثلاثة فئات ، ا ، ب ، ج ويكتب الحرف على لباسهم بدهان لا يمكن ازالته وليس هناك من طريقة اخرى يستطيع بها الافريقي ان يجد عملا ..

اما الاجر الذي يدفع للعامل الافريقي ، فانه يساوي واحد على خمسة عشر من اجر العامل الابيض . ومعدل الاجر الشهري للعامل الافريقي يتراوح من ٦ الى ٨ راند (عملة جنوب افريقيا) اي اقل مما ياخذ اي طالب ابيض كمصروف خاص به ، من ابويه .

ان الاستغلال غير المحدود للافريقيين في ناميبيا يعود بارباح طائلة على الاحتكارات الامبريالية التي تستخرج وتستغل الماس والنحاس والفضة والزنك والرصاص واليورانيوم وغيرها من المعادن هناك . وحسب ما نقله صحيفة « نيويورك تايمز » الاميركية ، فان نائب رئيس شركة نيومونت للتعدين ، اعترف بان ارباح شركته وغيرها من الشركات تشكل سنويا ٢٧ بالمائة من راس المال المستثمر في ناميبيا !

ولكن شعب ناميبيا لم يرض ابدا بهذه العبودية ، ومنذ الانتفاضة الاولى في اوائل القرن ، ونضاله يتنامى باستمرار ، ضد احتلال القوات العنصرية والاستغلال الامبريالي . ويتخذ نضاله اشكالا مختلفة ، من الاضرابات الى الكفاح المسلح . وقد كان اضراب العمال الافريقيين ، الذي بدأ في ١٣ كانون اول ١٩٧١ ، في ويندهوك العاصمة الادارية ، واستمر عدة اشهر ، اضخم اضراب في تاريخ ناميبيا ، امتد الى كافة انحاء البلاد ، توقف فيه عن العمل ٢٠ الف عامل افريقي من اصل ٤٥ الفا .

وكان شعار الاضراب انذاك ، الاستقلال لناميبيا ، الغاء النظام العنصري ونظام العبودية في العمل . وقد ابد الاضراب انذاك ، كافة السكان وحتى الشرطة الافريقية ، بحيث اضطرت بريتوريا الى الغلاء قواتها المسلحة وشرطة امنها ، لقمع الاضراب . وقامت البرتغال بالمساهمة في عملية القمع ، وذلك بارسال عدد ضخم من قواتها في مستعمرتها في انغولا ، الى الحدود الشمالية لناميبيا . وبقدر ما كانت الحركة الاضرابية ضخمة بقدر ما كان قمعها دمويا .

وكان الوضع في ناميبيا احدى القضايا الاساسية التي بحثت في الجلسة الخاصة التي عقدها مجلس الامن الدولي في ادبس ابابا في السنة الماضية . وقد اشار المجلس انذاك الى تحدي حكومة جنوب افريقيا المتواصل ، للامم المتحدة وللراي العام العالمي في مواصلتها احتلال ناميبيا ، ووافق على مشروعين يدعوان بريتوريا الى انهاء احتلالها ، ويدعوان ايضا ، كافة الدول الى الالتزام بقرار حظر شحن الاسلحة لجنوب افريقيا ، هذا القرار الذي لا تلتزم به بلدان اوروبا الغربية ، وعلى راسها فرنسا وبريطانيا .

بالطبع تستطيع بريتوريا ان تواصل تحدي الراي العام العالمي ، وقرارات الامم المتحدة بصورة خاصة ، لان هذه القرارات لا توضع موضع التنفيذ . والسبب في ذلك هو الدعم السياسي والعسكري ، البريطاني والاميركي الذي تتمتع به جنوب افريقيا العنصرية .

ولكن بريتوريا تعرف بان احتلالها لناميبيا بشكله المفضوح الحالي ، ربما ان يعيش طويلا . لهذا فقد لجأت الى خطة تمكنها من ترتيب اوضاعها وضمان مصالحها والمصالح الامبريالية الاخرى بقضي تقسيم ناميبيا الى منطقة « افريقية » ومنطقة « بيضاء » ، يتحول فيها ٤٠ بالمائة من مساحة البلاد ، الى ١١ بانتوستان تحكم نفسها بنفسها ، للافريقيين ، و ٤٢ بالمائة ، للمستوطنين البيض وللامتيازات الاجنبية . اما ما تبقى من البلاد ، بما فيها المنطقة الغنية بالماس ، فانها تبقى تحت حكم بريتوريا المباشر، كالولاية الخاصة من جنوب افريقيا !

ويامل العنصريون البيض من تقسيم ناميبيا ، بابقاء اغنى المناطق – المخصصة للبيض – داخل جمهورية جنوب افريقيا ، في حال موافقتهم على التفاوض بشان انتقال السلطة في ناميبيا الى هيئات تابعة للامم المتحدة ، او الى حكومة من السكان الافريقيين .

اكثر من ذلك ، فان العنصريين البيض يستهدفون من خطة التقسيم، فصل وعزل القبائل المختلفة ، لمنع تلاحمها وتماسكها في حركة التحرير النامية هناك ، والتي تشكل مصدر الخطر الحقيقي في المدى الطويل ، ليس على الوجود الاستعماري العنصري الابيض في ناميبيا فحسب ، بل وعلى امن هذا النظام العنصري في جنوب افريقيا نفسها .

ولكن المقاومة لسياسة القسم التي تبيعها العنصريون ، والنضال من اجل التحرر الكامل، يتصاعدان بصورة مضطردة ، وكان الاضراب العمالي العام الضخم من اسرز المؤشرات على الدرجة التي وصل اليها هذا النضال ، حين رفض رجال الشرطة الافريقيين في اكبر اربعة مدن في ناميبيا، الرضوخ للاوامر العليا الصادرة اليهم ، باعتقال مواطنيهم ، بحيث كانوا مشاركين عمليا للحركة الاضرابية الرائعة انذاك.

ومنذ ذلك التاريخ الذي يعتبر نقطة تحول هامة في نضال شعب ناميبيا، والسلطة في بريتوريا تلجأ اكثر فاكثر الى سياسة القمع الدموي ضد الوطنيين في ناميبيا معتمدة في قوتها العسكرية على الدعم العسكري من بلدان حلف الاطلسي، وعلى التنسيق مع كل من روديسيا والبرتغال، لمواجهة الثورة المتنامية ليس في ناميبيا فحسب، بل في انحاء افريقيا الجنوبية ، حيث كانت الفترة الاخيرة ، فترة التوحيد بين فصائل الجبهة الواحدة، والتنسيق بين حركات التحرر المختلفة في بلدان تلك المنطقة ■■

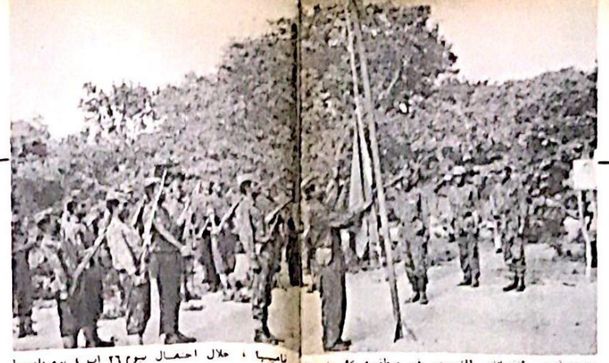

مجموعة من الفصائل الثورية في منطقة كاپريفي في ناميبيا ، خلال احتفال يوم ٢٦ آب ، يوم ناميبيا

مرحلة من القتالي في احدى مناطق ناميبيا في طريقها لتنفيذ مهمة عسكرية

الدور الذي تلعبه جنوب افريقيا في ناميبيا لخدمة الاحتكارات الغربية كما تحلله الرسام فلاسكوف .

لقاء مع مسؤول منظمة شعب جنوب غرب افريقيا (سوابو):

شعب ناميبيا يخوض الكفاح المسلح بعد فشل المحاولات السلمية لتقرير مصيره

لا يمكن فصل ما يجري في ناميبيا عن ما يجري في الشرق الأوسط

قام رفيق من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باجراء لقاء مع مسؤول منظمة شعب جنوب غرب افريقيا « ناميبيا » ، سجل خلاله ما يعطي صورة موجزة عن الوضع الحالي في ناميبيا ، ووضع حركة الكفاح الناشطة منذ سنة ١٩٦٦ ، كواحدة من حركات التحرر الوطني في افريقيا الجنوبية ، وتحدث خلاله الرفيق هيونوا شيهيبوا عن التجربة النضالية هناك، وتحولها عن النضال « السلمي » ، الى طريق الكفاح المسلح ، كالطريق الوحيد المجدي لتحقيق استقلال ناميبيا وحق شعبها في تقرير مصيره ، والمشاكل التي تواجه الحركة الثورية حاليا ، والدور الذي تلعبه الصهيونية في الثورة المضادة هناك – وفيما يلي نص الحوار :

■ رفيق شهيبوا . كيف بدأت قصة الاستيطان في بلادكم .

– بدأ الاستعمار لبلادنا منذ عام ١٨٨٤، منذ هذا التاريخ وحتى الحرب العالمية الثانية وناميبيا مستعمرة المانية ، ولكن بعد هزيمة الالمان في تلك الحرب قسمت المناطق التي كانت خاضعة للاستعمار الالماني على القوة المنتصرة ضمن الاسس التي حددتها « عصبة الامم » : بتجانبها مثلا ، التي اصبحت تحت بنزوايا بعد ان دمجت بزنجبار ، اعطيت لبريطانيا العظمى ، وناميبيا وضعت تحت سيطرة جنوب افريقيا التي حاربت بجانب الحلفاء ، ومنذ ذلك التاريخ وجنوب افريقيا تصر على رفض وضع ناميبيا تحت وصاية الامم المتحدة ، واستمر هذا الرفض برغم القرار الذي اتخذته الجمعية العمومية التابعة للامم المتحدة بانهاء انتداب جنوب افريقيا على ناميبيا ، وبالرغم من ان هذا القرار صدق عليه من طرف مجلس الامن ومحكمة الامن الدولية .

كان على جدول اعمال الاستعمار الالماني اثناء استعماره لناميبيا مشروعا واحدا قام بتنفيذه ، وهو معاملة الشعب الناميبي بوحشية وقطاعة .. وجاء استعمار جنوب افريقيا ليستمر ، بل وليكثف الاضطهاد والقهر والاستغلال لشعب ناميبيا ، بل وذهب الى ابعد من ذلك وعمل على تقسيم البلاد الى « مجموعات عرقية » وقسم البلاد الى اقاليم اقتصادية ، غير قابلة للنمو ،

لتوزع على هذه المجموعات . واطلقوا على ذلك اسم « الاوطان » او « البانوستانز » الا ان شعب ناميبيا ، قاوم وما زال يقاوم، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، كل الاجراءات والمفاهيم الاستعمارية التي تهدف الى استمرار اخضاعه للسيطرة الاستعمارية.

■ كيف تم عملكم المنظم ، وكيف تطور هذا العمل الى نمي الكفاح المسلح ؟ وما هي المشاكل التي تواجه نضالكم المسلح ؟

– تاسست « منظمة شعب جنوب غرب افريقيا » سوابو ، عام ١٩٥٩ في ويندبولو عاصمة ناميبيا ، في الواقع ، في البداية حاولنا ان نحقق استقلال ناميبيا وانسحاب جنوب افريقيا بالطرق السلمية ، وطالبنا بالطرق السلمية ، حكومة جنوب افريقيا بمنح شعب ناميبيا حرية تقرير مصيره ، ولكنها تجاهلت مطالبنا كلية ، كما تجاهلت ايضا القرارات التي اتخذت في الامم المتحدة التي طالبها بمنح حرية تقرير المصير لشعب ناميبيا ، ونتيجة لموقف جنوب افريقيا المتعلب لم نجد منظمتنا امامها اي طريق سوى طريق الكفاح المسلح .

في بداية عام ١٩٦٠ بدانا نضع اسس الكفاح المسلح . وفي سنة ١٩٦٦ عندما اعيد طرح قضية ناميبيا على محكمة العدل الدولية ، لكونها عضو قديم في عصبة الامم ، ولما لم نجد قضيتنا الاهتمام الكافي من مؤسسات هيئة الامم ، شرعنا بالكفاح المسلح في ٢٦ آب ، ١٩٦٦ ضد استعمار جنوب افريقيا لبلادنا ، واصبح يوم ٢٦ آب « يوم ناميبيا » .

والصعاب التي نواجهها معقدة ، اعتقد اننا من الناحية الجغرافية البحتة غير موفقين لانه لا يوجد لدينا حدودا مدوحة مع البلدان المستقلة في الجنوب ، الحدود التي يمكن العمل عبرها هي حدودنا مع زامبيا . ولكن هذه الحدود ضيقة ، ومن الممكن مراقبتها مراقبة كلية من قبل جنوب افريقيا . ومع هذا فان معاناتنا باسطاعتهم الوصول الى اي موقع في البلاد بردوبه . عمليا نا مركزه الان في مناطق كابرو واوكافانكو واورنم ، وخسائر العدو في تصاعد مستمر . وقد دفعه ذلك الى تدريب الافارقه والاسيويين على استعمال السلاح وارسالهم لمحاربة ثوارنا . اننا نراقب ذلك بجدية ، ونعتبر ان ما يحصل الان ، من الناحية السياسية شيء خطير ، لانه سيؤدي الى افتعال الافارقة ، « الملونين » فيما بينهم . ومن الناحية العسكرية ، فان الخسائر في صفوف الملونين تعني الاقلال من خسائر المستعمر الجنوب افريقيا. فبريتوريا لا يهمها الملونين وهي لا تعلن عن الخسائر التي تقع في صفوفهم .

واننا نامل من اشقاءنا الذين ضللوا ، ان يفهموا الحقيقة ، ويدركوا خطورة ذلك .

ومن جهة اخرى فقد وجدنا الوسائل والطرق الكفيلة بحل المشاكل الناتجة عن تعقيد طرق المواصلات والموين. ومجموعاتنا تقاتل الان داخل البلاد . اننا نقاتل بمجموعات واعية ومسلحة تستطيع ان تحقق النصر .

■ ما هو الدور الذي تقوم به الصهيونية ، والشركات الاحتكارية – المصادة للثورة ؟

– الصهيونية ، في جنوب افريقيا وناميبيا ، جزء من الحركة الصهيونية العالمية التي تعمل لخدمة اغراض اسرائيل. وقد ظهر ذلك بوضوح اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ عندما قامت الصهيونية بارسال المتطوعين والمساعدات المالية الى اسرائيل، فاصحاب الشركات الاحتكاريه في ناميبيا هم اما من المحتكرين المساهمين مع الصهيونية او من الرتبطين بالصهيونية مباشرة، لذلك لا يمكن فصل ما يجري في ناميبيا عن ذلك الذي يجري في الشرق الاوسط ،

فالصهيونية هي التي تقدم الخبراء الى جيش جنوب افريقيا وهي التي تساعد حكومة جنوب افريقيا للحصول على المزيد من السلاح . الشركات الاحتكارية في ناميبيا كثيرة ، يوجد حوالي ٢٥ شركة انجليزية واكثر من ١٥ شركة اميركية ، والعديد من الشركات الكندية والفرنسية والالمانية الغربية واليابانية ، كلها تعمل في استغلال موارد البلاد المعدنية بينما يعيش شعب ناميبيا الفقر في اوضاع اقتصادية سيئة ضمن اطراف سياسية ماساوية .

■ اي نوع من العلاقة يربطكم بالدول المحيطة للاذكم ؟

– هنالك الدول المستقلة المجاورة لناميبيا تساعدنا بلا شروط ، ونحن نعتز بتضامنهم معنا ، ولكن معظم الدول التي لها حدود مع بلادنا هي دول ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار ، ولذلك فان الخيار المنطقي والوحيد هو ان توحد وبصلابة جهودنا مع المنظمات الحقيقية والاصيلة التي تعمل في هذه البلاد .

■ هل جرت اي محاولات لتوحيد العمل العسكري بين حركات التحرير الافريقية ؟ هل تعتقد ان ذلك ممكنا وعلى اي الاسس ؟ .

– انه لمن الضروري مواجهه خلف اعدادنا بتوحيد استراتيجية وجهود حركات التحرير .

ليس فقط ضد هذا النوع من الاستعمار ولكن ضد العالم الامبريالي الذي يغذي ويؤازر النظام العنصري في جنوب افريقيا. هذا لا يعني ان على حركات التحرير ان تركز قوتها الاساسية على بلد بعينه، ولكن بشكل عام فان انظمام العلاقة وتنسيق العمليات بين حركات التحرير يجب ان تتركز بشكل خاص ، في تلك الدول التي ما زالت خاضعة للاستعمار . مثل هذا العمل لن يمكن النظم الاستعمارية من مواجهة حركات التحرير . وبشكل اكثر تحديدا ، فان هذه الاستراتيجية ، فعلا لو تم بنيتها ، فان حكومة جنوب افريقيا مثلا ، لن تستطيع ان توزع جنودها في ناميبيا وزيمبابوي ... الخ . وحاليا ، فان حركات التحرير في افريقيا الجنوبية تعمل باتجاه هذا الهدف . ■■